القيم الأخلاقية عند الشيخ نووي الجاوي

Muhammad Firdaus*, Fitriana Rusyai Ali**

*muhammad.firdaus@uinjkt.ac.id, **fitriana@uinjkt.ac.id

Program Studi Magister Pendidikan Agama Islam, Universitas Muhammadiyah Tangerang,
Jl. Perintis Kemerdekaan I/33, Cikokol, Tangerang

Abstract

القضية الأخلاقية شغلت العالم الإسلامي اليوم بجميع أنحائها، ومن المصطلحات التي أثارت نقاشا بين علماء الإسلام والمفكرين من الأديان الحديثة هي مصطلح القيم والأخلاق، وعلاقته بأصول العقيدة والشريعة. وقد تعددت مواقفهم تجاه هذا المصطلح، فمن المثبتون له والمدافعون عنه؛ بأنه تابع للشريعة الإسلامية حيث لا تنفصل بينه وبين العقيدة والشريعة. فالمنكرون عليه يقولون إنه راجع إلى العادات والثقافات البشرية، ولا علاقة لها بالدين، ويجعلون اكتشافاتهم في مجال العلوم بديلا عن الإيمان؛ لأن غايتهم تلبي شهواتهم ويمشون وراء الملذات الدنيوية. وكانت وما زالت مسألة القيم الأخلاقية محلّ بحث ودراسة ورعاية وعناية؛ ضد الملحدين والمتحررين. وهذه القضية التي أوردها الشيخ نووي الجاوي في مؤلفاته مؤشرة قوية على مدى اهتمامه بالتقويم الخلقي. وسيعرض الباحث بحول الله تعالى وتوفيقه مفهوم القيم الأخلاقية الواردة في مؤلفات الشيخ وتطبيقاتها في تفسيره. والدراسة تتكون على سنة مطالب: المطالب الأول : مفهوم القيم الأخلاقية عند الشيخ نووي الجاوي. المطلب الثاني : أهمية القيم الأخلاقية. المطلب الثالث : خصائص القيم الأخلاقية. المطلب الرابع : وسائل تحقيق القيم الأخلاقية. المطلب الخامس : الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات. المطلب السادس : المراجع.

المطلب الأول : مفهوم القيم الأخلاقية عند الشيخ نووي الجاوي

القيم

معنى القيمة أي: قيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع: ثمنه(**المعجم الوسيط**. المرجع السابق. باب القاف. ج2. ص768). وتدلّ كلمة قيمة حسب الأصل اللاتنية لها على القوة، والصحة، والشجاعة(**القيم الأخلاقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر**.ص15). معنى كلمة (القيمة) يدور حول (القومة) ومعناها: النهضة، والقويم معناها: المعتدل، واستقام: اعتدل واستوى، والقوام معناها: العدل(**المعجم الوسيط**. المرجع السابق). وفيها قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾[سورة الفرقان:67] أي: وكان انفاقهم بين الإسراف والإقتار ووسطا (**مراح لبيد**. سورة الفرقان. ج2. ص139). والقيوم القائم بتدبير لكلّ شيء(**بيان المعاني**.ج5. ص223.) وهو اسم من أسماء الله الحسنى. الأمة القيمة: المستقيمة المعتدلة، وفيها قوله تعالى: ﴿**وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [سورة البينة:5] أي: القائمة بالحق(**الجامعلأحكامالقرآن**.ج20. ص144). والفعل (قام) معناه: اعتدل، وزال اعوجاجه، ومنه استقام الأمر أي: صلح وزال انحرافه (**القاموس المحيط**. محمد عبد لرحمن المرعشلي (**محقق**). بيروت: دار التراث العربي. ص1487).

واختار الباحث معنى القيم في هذه الدراسة هو علوم ترتبط بمفاهيم الخير، أو الحقّ، أو الجمال.

وأما الأخلاق هي صفة نفسية–فطرية أومكتسبة– ذات آثار إيجابية أو سلبية تنعكس على سلوك الإنسان (**الأخلاق الإسلامية وأسسها**. ج1. ص10). ولتغليب الجانب الإيجابي، فإن للقيم الأخلاقية دورها في تصعيد ذلك، والقيم المطلوبة هنا كلّ ما استفيدت من أصول العقيدة والشريعة. وأما الآداب من خلال هذه الدراسة فإنها ناتجة عن هذه القيم الأخلاقية، وهي بدورها تعين المرء على أن يتحلّى بالأخلاق الكريمة.

فنستطيع أن نعتبر أن القيم الأخلاقية من وظيفتها تتناول دراسة سلوك الإنسان وأفعاله بالقياس إلى المثل الأعلى، أي: سلوك الإنسان الإرادي، أي: السلوك الذي فعله من تلقاء نفسه، فالمسؤول عنه مسئولية أخلاقية[1] (**المسؤولية الأخلاقية وأثرها على الفرد والمجتمع في ضوء السنة النبوية**. ص19.) حتى تعينه على فعل الخير، والابتعاد عن الشر (**الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة**. ص17.). ومن هذا المنطلق تصبح القيم الأخلاقية هي القواعد والمبادئ التي تنظم سلوكيات الإنسان في تعامله مع الله تعالى، ومع البيئة التي يعيش فيها.

المطلب الثاني : أهمية القيم الأخلاقية

فقد اهتم الإسلام بالقيم الأخلاقية، وتطبيقها في كلّ مجالات الحياة، مطابقة مع مبادئ الإسلام وشرائعه. ومن أهمّ مظاهرها ما يلي:

---

(3). المسؤولية الأخلاقية هي: إلتزام المرء بالأوامر الإلهية التي تهتم بالجانب الأخلاقي.

1. الربط بين أركان الإسلام بالقيم الأخلاقية

فقد قال النبي ε: ((**بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**)). (**الجامع المسند الصحيح**. عن ابن عمر رضي الله عنهما. باب: دعاؤكم إيمانكم. رقم الحديث: 8. ج1. ص11) و (**المسند الصحيح**: عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، رقم الحديث: 19. ج1. ص45). وهذه الأركان تتضمن العقيدة، والعبادات، واشتملت على الصلة بالناس وآدابها، لو تولى أمور السموات، والأرض إله غير الواحد الذي هو فاطرهما، لبطلتا بما فيهما جميعا، وحيث انتفى فسادهما، علم انتفاء تدبير إلهين، ويدلّ العقل على ذلك؛ لأنّ حصول المرادين مستحيل استحالة الاجتماع بين الضدين.

إنّ الإقرار بالوحدانية له آثاره على سلوك الإنسان، إذ من يؤمن بأن الأمر كلّه لله تعالى، وأنّ رسوله ε مبلغ عن الله تعالى، وأنّ هناك بعد هذه الحياة، حياة أخرى، بها الثواب والعقاب، ومن يعتقد هذا، يظهر في سلوكه أثر هذا الاعتقاد، مراقبة الله وخشية منه، ثباتا أمام الأحداث الجُسام، وعدم خوف أو الضعف أمام أي مخلوق كائنا من كان؛ لأن يؤمن إيمانا صادقا بأنّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق، الرازق، المحي، المميت، الضارّ، النافع، وهذه تجعله يثق بالله تعالى ويعرف حقيقية نفسه.

تعصم عقيدة التوحيد لكلّ من يأخذ بها، ويعتقدها من الحيرة، والضلال، والتمزّق؛ وكذلك في العبادات والأخلاق، وهما عنصر يؤهل المسلم؛ لأن يتصف بصفات قادرة على تأمين حياته وحياة مجتمعه من شرور الهزات النفسية، والتوترات، والقلق.

ولما كانت معرفة الخالق جلّ شأنه، أوّل من يجب على الإنسان، كان أوّل ما يقوم بأدائه ε هو إرشاد الخلق إلى معرفة الله تعالى، وامتثال أوامره، وابتعاد نواهيه، ويصف ε لأمته بالأوصاف، والنعوت التي تقرّبه من أفهامهم بلا كلفة ومشقّة، حتى تتشبع مداركهم بمعنى التوحيد من أقرب الطرق، وأسهلها.

ثانيا: تذكير الأمّة بعظمة الخالق سبحانه وتعالى، وجلال قدره وعظيم قدرته، وتعرّفهم على كلّ ما يجب في حقّه تعالى، وما يجوز، وما يستحيل عليه من الأوصاف والنعوت.

ثالثا: حضّ الناس على مكارم الأخلاق، والآداب التي تتحلى بها النفوس، فعائد نفع هذه الأخلاق إمّا على نفس الإنسان، وإمّا على غيره.

رابعا: تعليم الإنسان كيفية تعظيم الخالق سبحانه، وأداء ما فرض عليه من العبادات بجميع أنواعها على أتمّ نظام، حتى يكون القلب دائماً حاضراً، والعبودية متحقّقة بكمال معناها.

خامسا: تقرير الحدود، ووضع القواعد التي ينسج المرء عليها في جميع المعاملات. يشرح ε لأمته الطرق التي تستقيم بها حياة المادية، ويحضونه على اتباعها كحضّه على النشاط في العمل وضربهم له الأمثال، ونطقهم الحكمة التي تبغض إليه الكسل (**تيجان الدراري**. ص3).

2. التصوير البديع للقرآن الكريم والسنة النبوية عن الشخصية الإسلامية المثالية

ذكرت في القرآن الكريم آيات عديدة تصف الشخصية المسلمة ذات الخلق الأمثل، وهذه من آثار قمة الالتزام بالأوامر الإيمانية. وأنّ التشريع الأخلاقي من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يهتمّ بكلّ الجوانب المكوّنة للإنسان، وهي الجسد، والعقل، والروح، ويضع لكلّ جانب الضوابط التي تجعله يتكامل مع غيره من الجوانب ليكون الإنسان الرشيد.

ومن مهمّة الضوابط الأخلاقية في الجسد، والعقل مثلا، قول النبي ε لنفر من أصحابه الذين قال بعضهم: لاَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَصُومُ وَلاَ أُفْطِرُ، فَقَامَ ε وَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنى عَلَيْهِم قَالَ : ((**مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**)). (**السنن الكبرى**. عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، باب: الرغبة في النكاح. رقم الحديث: 13449. ج7. ص123).

وكذلك في العقل شرع له من الضوابط ما يكفل توازنه، فلا يقبل إلا الحقّ، ويرفض الظنّ إلا بالشروط، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ [سورة النجم: 28]؛ أي: الظنّ لا ينفع شيئا من العلم بحقيقة الشيء، والظنّ يتبع في الأمور المصلحية، والأفعال العرفية، أو الشرعية عند عدم الوصول إلى اليقين، ومدح من حاله لا يعلم، فالظنّ فيه معتبر، والأخذ بظاهر حال العاقل واجب، وأمّا في الاعتقاديات، فلا يغني الظنّ شيئا من الحقّ، فإنّ المكلّف يحتاج إلى يقين يميّز الحقّ من الباطل، ليعتقد الحقّ، ويميّز الخير من الشرّ ليفعل الخير، ففي الحقّ ينبغي أن يكون جازما، والظن لا يكون جازما (**مراح لبيد**. سورة النجم. ج2. ص139).

وأمّا الروح هي الأصول التي تتمثل القيم الأخلاقية، وأغذية للروح هي فعل الخيرات والطاعات، سواء كان الفعل بالأركان، أو بالقلب؛ وعبادة قلبية أعظم وأكبر تأثرًا للروح، وهي تجب أن تكون دائمة، وأن لا يغفل الإنسان لحظة واحدة عن استحضار جلال الله بقدر الطاقة البشرية؛ لأن إذا صلحت القلب صلحت الجسد من الأعضاء كلّه. وأنّ بين الروح والبدن علاقة عجيبة؛ لأنّ كلّ أثر حصل في جوهر الروح، نزل منه إلى البدن، وكلّ حالة حصلت في البدن، صعدت منه نتائج إلى الروح. وتصور ألا أنّ الإنسان إذا تخيّل الشيء الحامض ضرس

سنه، وإذا تخيل حالة مكروهة وغضب، سخن بدنه، فهذه آثار تنزل من الروح إلى البدن (**مراح لبيد**. سورة الأنعام. ج1. ص415)

3. كثرة النصوص القرآنية والنبوية المتعلقة بالفضائل على تطبيق القيم الأخلاقية

وعد الله تعالى الجزاء الكريم لمن تمسّك بالفضائل الخلقية، وقال تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ [سورة الإسراء: 84]؛ كلّ إنسان يعمل عمله على طريقته توافق حاله في الهدى، والضلالة، فإن كانت نفسه طاهرة، صدرت عنه أفعال جميلة، وإن كانت نفسه خبيثة، صدرت عنه أفعال رديئة. (**مراح لبيد**. سورة الإسراء. ج1. ص635)

ويذكر الباحث بيان الشيخ نووي الجاوي الذي يؤكد على اهتمام القرآن الكريم بحسن السلوك، كالجزاء للصابرين، في قول تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [سورة الزمر:10]، إنّ الله سبحانه وتعالى يوفّي أجر المؤمنين في مقابلة صبرهم في طاعاته، وترك كلّ ما نهاهم الله عنه بغير وزن، ولا كيل. وهذه الآية دليل على أنّ الإيمان ليس مجرد بالقلب، أو إعلان الإسلام دون تقوى، ولا عمل بأوامر الله، واجتناب نواهيه لا يكفي إطلاقا.

كما جاء في الحديث يظهر اهتمام الإسلام بالفضائل الخلقية، بل أفعال ε التي ترغب في فضيلة بعينها، قول النبي ε: ((**إنّ خياركم أحسنكم أخلاقا**)). (**الجامع المسند الصحيح**. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، باب: صفة النبي ε. حديث رقم: 3559. ج4. ص189). يمثّل في هذا الحديث عن حصاد الفضائل، إذ لا يستحقّ المرء وصف حسن الخلق، وجزاءه، إلا إذا تخلّق بما أمر الله تعالى به، وانتهى عمّا نهى عنه.

ومنزلة السنة من مصدر تشريعي بجانب القرآن الكريم، وما يريد بها مفسّرا للنصّ القرآني، يستوى في الإلزام مع ما يرد في السنة من أحكام سكت عنها القرآن، لقوله تعالى : ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [سورة الحشر:7]؛ فإنّه واجب الطاعة؛ لأنّه لا ينطق عن الهوى، وهذا يوجب أنّ كلّ ما أمر به النبي ε أمر من الله تعالى. بل إنّ السنة عُنِيت بضرب الأمثلة والإجابة على أسئلة الصحابة عن سلوك معين، واحتمال ممكن، وهذا جزء من مهام السنة النبوية لكونها مصدرا تشريعيا. (**السنة المفترى عليها**. ص329)

المطلب الثالث :خصائص القيم الأخلاقية

لقد اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالتقويم الخلقي لدى الإنسان العاقل. فمعرفة القيم الخلقية لها خير ونفع عند ذوي البصيرة، فإنّها قاعدة راسخة في الفهم والتأمل والتدبّر؛ لأنها القواعد والمبادئ التي تنظم سلوك الإنسان في تعامله مع الله تعالى ومع البيئة التي يعيش فيها.

وأهمّ العلوم عند الشيخ نووي الجاوي ثلاثة: (العلم بمعرفة الله، والاستغفار، والمحافظة على السنن)، وقال: مع الآداب وهي ما يحمد قولا، وفعلا، أي: أداء حسن الأحوال والأخلاق. والطريقة الموصلة إلى هذه العلوم هو علم التصوّف، فإنّ التصوّف كلّه آداب. ولا يتكامَل الأدب في العبد إلا بتكامُل مكارم الأخلاق، ومكارم الأخلاق من مجموعها تحسين الخلق. (**سَلَالِمِ الفُضَلاء شرح على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء**. ص48-49).

من أهم خصائص القيم الأخلاقية في مؤلفات الشيخ نووي الجاوي منها:

1. الحصول على كمال الإيمان

خاصية الإنسان بعضه على بعض أحسن أخلاقه، وبه يرفع مكانة الإيمان عند المرء، والإيمان لم يصل إلى كماله إلا إذا صدقّه عمل الأركان، كما ورد في الحديث أنّ الخصال المتفرعة عن الإيمان سبع وسبعون، قال النبي ε: ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**)). (**الجامع المسند الصحيح**. عن أبي هريرة، باب أمور الإيمان، رقم الحديث:9. ج1. ص11). والمعنى: أنّ الفضلاء يعدون هذه السبع والسبعين مكملة للنفس؛ لأنه يصلح بها أمور الدنيا، ويحسن بها أمور الآخرة. (**شرح قامع الطغيان على منظومة شعب الإيمان**. ص3). فقد اتفق الأمّة على أن الإيمان عقد وقول وعمل، وأن يعدّ العمل من الإيمان، لأنه مكمّل له ومتمم. (**إحياء علوم الدين**. ج1. ص120).

وقد ذكر الشيخ عناصر القيم الأخلاقية، وهي التخلق والتعبد مع الله تعالى، فإنه المكتسب من صدق الإيمان وكماله. فحسن الخلق هو محبة الله تعالى، فمن المحبّة تتفرع منها عناصر القيم الأخلاقية الأخرى فهي التخلق والتأدب مع نفسه، منه الدفاع النفسي عن ترك الرذائل، خوفا من عذاب الله. وأقلّ درجة الخوف هي أن يمتنع عن المحظورات، ويسمى ذلك ورعا، فإن زادت قوته، كفّ عمّا لا يتيقن تحريمه، ويسمى ذلك تقوى. فإن ضم إليه التجرّد للخدمة، فصار لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى الدنيا، ويعلم أنّه تفارقه، ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه فهو الصدق، ويسمى صاحبه صدّيقا، ويدخل في الصدق التقوى، ويدخل في التقوى الورع، ويدخل في التقوى العفّة، فإن اكتملت هذه الأشياء، فتُرجع بها الإنسانُ إلى فطرته النقية. (**شرح قامع الطغيان على منظومة شعب الإيمان**. ص5).

فالقيم الأخلاقية طريقة للحصول على كمال الإيمان، نظرا بثبات القواعد التي جاء بها القرآن الكريم. فبينما القيم الأخلاقية في القرآن الكريم ثابتة، ولكن بداخلها سَماح المرونة التي تحقق معنى القيمة وتهيئ الظروف المغيرة، فالرحمة بالأبناء خلق من قيمة كبرى هي: الرحمة، وقد يختلف السلوك المؤدي إلى رحمة الأبناء من موقف إلى آخر، وجميعها تستهدف تحقيق الرحمة. فيجب على كلّ مسلم أن يعترف بمبدأ الالزام من المصدر الإلهي في تربية الأولاد، والالتزام من ناحية البشر بما ألزمه الله تعالى به. وهذا الثبات الذي يعتبر مكرمة وميزة؛ لأنّه يحقّق ما شرع من أجله في كلّ زمان وبيئة، ومع كلّ جيل وشعب، وما كانت هذه القواعد الأخلاقية الإسلامية إلّا لأن قيمها شرع ثابت من لدن حكيم خبير.

2. الحصول على كمال العقل

فضّل الله تعالى الإنسان على سائر الخلائق بالعقل، ولم يتم استعماله على صورة إيجابية؛ وذلك يتفعله في مجالات تحقق التقوى وتجنب المرء عن المعاصي، وهو يمنع نفسه من مخالفة عقله السليم. ولذلك قال الشيخ نووي الجاوي: (من تمسّك على التقوى بالامتثال أوامر الله، واجتناب المعاصي، فإنّ أسس أفعال الإنسان بموافقات الشرع). وقال: (الخير الكثير لمن كان عقله أميرا، أي: بأن يقتدي بمراد عقل الكامل، ونهى نفسه عن الميل إلى الحرام الذي يشتهيه). وقال: (إكمال العقل اتباع رضوان الله تعالى، واجتناب سخته). (**نصائح العباد في بيانِ أَلفاظٍ مُنَبِّهاتٍ على الاستعداد ليوم الميعاد**. ص5)

العقل الإنساني ذو مهمة عظيمة، وهي من خلاله يحصل الإنسان على الفهم، والوعي، والموازنة، والتحليل، والاستنباط لما جاء به القرآن والسنة، بحيث يقف على المنطلقات، والبواعث، والحِكم، والمقاصد، والغايات، والمبادئ، والأسس، حتى يتعرّف على الفضائل وسماتها، والرذائل وحدودها، حتى يوافقه المنهج الأخلاقي للإسلام كما جاء في القرآن والسنة.

ومنه التفكير لكلّ ما يخرج من اللسان، فإنّ مكانة القلب الكريمة أو الرديئة تظهر مما تخرج من اللسان، قال النبي ε: ((**مَنْ كَانَ يؤمِنُ بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا أو لِيَصْمُت**)). (**الجامع المسند الصحيح**. عن أبي هريرة رضي الله عنه. باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. حديث رقم: 6018. ج8. ص11). وقال ε : ((**من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**)). (**الجامع المسند الصحيح**. عن أبي هريرة. باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. رقم الحديث: 6018. ج2. ص95). وفي هذا الحديث آداب وسنن، منها : التأكيد في لزوم الصمت، وقول الخير أفضل من الصمت؛ لأن قول الخير غنيمة، والسكوت سلامة، والغنيمة أفضل من السلامة، وكذلك قالوا: (قُل خيرا تغنم، واسكت عن شرّ تسلم). (**التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**. ص35). وقال الشيخ

نووي الجاوي: (العلم لم ينفعك إلا أن تفعل بثلاثة أشياء: لا تحبّ الدنيا، فإنّها ليست دار المؤمنين، ولا تصاحب الشيطان، فإنّه ليس رفيق المؤمنين، ولا تؤذي أحدا، فإنّ الإيذاء ليس صنعتهم). (**نصائح العباد**. ص11). والأذى إمّا بالقول أو الفعل.

ومن حفظ لسانه، صفا قلبه، ومن صفا قلبه، سلم تفكيره من سوء الظن بربّه وخلقه. وقال: البر هو اللسان، والبحر هو القلب، فإذا فسد اللسان بكت عليه النفوس، وإذا فسد القلب، ضاعت عليها الحكمة، أنّه لا ينبغي أن يتكلم إلا فيما يهمّه وفي خير. والإرشاد القرآني على المؤمنين هو تسديد القول، وإحكامه، والتدقيق فيه، فإنه يعين على الموافقة لصالح الأعمال ويصلحه أي :ا لقصدُ إلى الحق والقول بالعدل، ومعرفة هدفه واتجاهه (**البحر المديد**. بيروت: دارالكتبالعلمية. ط2. ج6. ص90). قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** (**70**) **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ [سورة الأحزاب:70-71]. قال الشيخ نووي الجاوي: (أمسك لسانك عن الخلق، لا تذكرهم إلّا بخير). (**نصائح العباد**. ص11).

إذا خالط العقل صفاء سلم من شتات الأفكار، ولهذا الصفاء تأثير قوي في مخالفة هوى النفس، وتردعه عن الوقوع في الذنوب؛ فيصبح قلبه يرق ويقبل على النصائح ويخشع لها؛ فأكل الحلال الذي بدوره جاء ليصفى القلب والأفكار في مخلوقات الله تعالى التي تدل دلالة واضحة على قدرته على إعادة الخلق بعد الموت، وإثبات وحدته في أسمائه وصفاته، وأفعاله؛ وذلك بالتأمل والتفكر والتدبر بعقله؛ والتفكر فيه يقوي الإيمان؛ فعلى قدر قوة الإيمان، يجتهد في الطاعات واجتناب المخالفات للشرع (**نصائح العباد**. ص7).

وللحصول على كمال العقل عدم صحبة الأحمق، فإنّه واضع الشيء في غير محلّه مع العلم بقبحه، قال النبي ε: ((**اِصرِم الأحمق**)). (**شعب الإيمان**. عن عمر بن قيس بن بشير عن جده. رقم الحديث: 9468. باب: مُجَانَبَةُ الْفَسَقَةِ، وَالْمُبْتَدِعَةِ، وَمَنْ لَا يُعِينُكَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. ج7. ص61). أي: اقطع ودّه، والمعنى لا تصاحبه لقبح حالته، ولأنّ الطباع سرّاقة، وقد يسرق طَبِعك منه. (**نصائح العباد**. ص7).

3. موافقة العمل مع الشرع

ثم بيّن الشيخ نووي الجاوي، بأنّ العلم والعمل الأمران المتمسكان لا يتفرقا، وتستدلّ بقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾ [سورة فصلت:6]، أي: الوحي يرجع إلى أمرين: العلم، والعمل؛ فالعلم رئيسه، وهو معرفة أنّ الله واحدٌ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿**أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾، وإذا كان الحقّ كامنا في التوحيد، وجب علينا أن نعترف به. وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ**﴾ أي: استقيموا في أفعالكم متوجهين إلى الإله الواحد، ثمّ أمر الله تعالى بوظيفة العمل ورئيسه الاستغفار، فلهذا شرع

الاستغفار لأجل الخوف من وقوع التقصير في العمل المأتي به (**مراح لبيد**. المرجع السابق. سورة الفصلت. ج2. ص358).

فللأعمال التي أمرت بها الشريعة الإسلامية تراعي على الطاقات الأساسية في الإنسان، وهي الأساس في طلب الأعمال التي جاء بها الشرع. وإنّ الإسلام بمصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية قدر في نظامه الأخلاقي طاقات المكلّفين، وذكرت في آيات عديدة، بأنّ الإنسان هو مخلوق مكلّف مسئول في جميع شرائع الله تعالى من العبادات، والأخلاق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ومن جانب المسئولية الأخلاقية التي هي ظهور من المسؤوليته الكبرى وهي مسئولية الخلافة.

فبمراعاة الطاقات الأساسية في الإنسان في طلب أعمالهم، فإنه مسؤول عن أعماله، حيث أنّه يتحمل مسؤولية عمله، ولا يتحمل وزر غيره، وأثبت الله تعالى مسؤولية الإنسان عن عمله الإرادي في نصوص كثيرة، وإثبات مسؤولية يستلزم اتصافه بالصفات التي تجعله مسؤولا عن أعماله، منها الإرادة الحرّة، والقدرة على معرفة الخير والشرّ، ومعرفة التكليف الذي يتوجّه إليه، منها قوله تعالى : ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى** ﴾ [سورة النجم:39-40] أي: وأّنه ليس الإنسان يوم القيامة إلا ما عمل في الدنيا من خير، وشرّ، فإنّ حسنة الغير لا تفيد نفعا، وإنّ المسيء لا يجد حسنة الغير ثوابا، ولا يتحمّل عنه أحد عقابا، ومن كلّ إعمال الإنسان خيره، وشرّه، يعرّض عليه، ويكشف له يوم القيامة في ديوانه، وميزانه. (**مراح لبيد**.سورة النجم. ج2. ص467).

ومن أجل هذا، ورد النصّ في سياق ما ينبأ به الإنسان يوم القيامة ممّا قدّم وأخّر من عمله، فهو ينبأ بما عمل، وبما لم يعمل، ممّا كان مسؤولا عن عمله، وهو مع ذلك يعلم هذا من نفسه ويذكره، ويستطيع أن يحاسب نفسه عليه محاسبة صحيحة؛ لأنّه علم تمامًا بأعماله وبمقاصده من أعماله، ويعرّض عليه كتاب عمله، وهو إن أنصف شاهدا على نفسه، وعليه شهود من الملائكة الموكّلين بمراقبته، وشهود من جوارحه وأعضائه التي استخدمها في ذلك، ثم من فوق ذلك علم الله المحيط بكلّ شيء.

4. التدرج التكليفي

إنّ التدرّج من سُنن الحياة الجوهريّة، ومن معالم المنهج الربّاني في التربية والتشريع، سواء في العبادات أو المعاملات أو العقوبات. وبالتدرّج تُهيَّأ النفوس جيّدا لتقبُّل التكاليف، وتنفيذ الأعمال فعلاً أو تَرْكاً عن طواعية وأرْيَحية، وبه تُرسَّخ القيم الأخلاقية وتُتَقبَّل النفس عن اقتناع ثابت.

ولذلك،لم ينزل القرآن بجميع أحكامه، وتعاليمه، وتكاليفه، دفعة واحدة، بل مُنجّماً على ثلاثة وعشرين عاماً؛ مراعاةً للاعتبارات المذكورة. ولهذا تعامل القرآن الكريم مع الأمة البشرية بمنتهى الحكمة، التي جعلت من خلالها استخدام الناس مزيّة عقولهم السليمة في نظر الأشياء بحقائقها، وتنبعث الإيجابية من نفوسهم، حتى يتحلّى بالشرائع الإسلامية في القول والعمل.

التدرّج في الأوامر والنواهي على عباده، بأنّها سهلة ميسرة في الجانب العملي، غايته التخفيف، ورفع الحرج عن الناس، ولن يجعلهم بها ضيّقا حرجا شاقّا، وإنّما جعلها سهلا يسيرا، فلم يكلّف الله عباده ما لا يطيقون، وما ألزمهم بشيء يشقّ عليهم، وهذا تأكيد بأنّ الله تعالى لطيف بعباده، أي: رأفته لهم، أنّه يوصل إليهم مصالحهم بإحسانه من طرق لا يشعرون بها، وهو الذي يدرك بواطن الأشياء وخفياتها وسرائرها، والذي يسوق إلى عباده الخير، ويدفع عنهم الشرّ بطريق لطيفة تخفى عليهم ، وهو يعلم ما به خير لهم، حتى يصلوا إلى دار الآخرة آمنين سالمين غانمين. (**منة الحليم المنان في اقتران ألفاظ القرآن**. ص113-114).

كما ذكر الباحث في الإطار النظري عن مفهوم القيم الأخلاقية؛ أن الأخلاق هي صفة نفسية–فطرية أومكتسبة– ذات آثار إيجابية أو سلبية تنعكس على سلوك الإنسان، ولتغليب الجانب الإيجابي، فإن للقيم الأخلاقية دورها في تصعيد ذلك، والقيم المطلوبة هنا كل ما استفيدت من أصول العقيدة والشريعة، وهي تتبّع من اعتبارها موجهات السلوك والعمل، فيفترض عليها الغايات، وأنّ الجزاء لسلوك الإنسان له أمر مهمّ في تنفيذ القيم الأخلاقية، حيث أنّه يدفع إلى السلوك، والعدالة، وقال تعالى : ﴿ [redacted] ﴾ [سورة التوبة:105]، اعملوا ما تشاؤون من الأعمال، فسيرى الله عملكم خيرا كان أو شرّا، ويراه رسوله باطلاع الله إياه على أعمالكم، ويراه المؤمنون بقذف الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين، وبغض المفسدين، فإنّ لعملكم في الدنيا حكما، وفي الآخرة حكما. أمّا حكمه في الدنيا فإنّه يراه الله والرسول والمسلمون، فإن كان طاعة حصل منه الثناء العظيم في الدنيا، والثواب العظيم في الآخرة، وإن كان معصية حصل منه الذم العظيم في الدنيا، والعقاب الشديد في الآخرة، وهذا ترغيب عظيم للمطيعين وترهيب عظيم للمذنبين. (**مراح لبيد**. المرجع السابق. سورة التوبة. ج1. ص466).

ولهذا، فإنّ الأساس في الأوامر والنواهي هي الضبط لسلوك البشر من خلال أعمالهم، ويجعلهم الاطلاع على جزائها، ولكلّ أعمال جزاء، فيها الجزاء الإلهي كآيات الثواب والعقاب. وفيها الجزاء الوجداني كشعور الفرد سواء

كان بالرضا لفعل الخير، وعدم الرضا لفعل الشرّ. والجزاء الطبيعي حيث يصاب المخالف للقيم الأخلاقية بأمراض معينة كشرب المخدرات، مخالطة الزنا وغيرها. والجزاء الاجتماعي حيث لا يقبل المجتمع في مجموعاتهم من ينحرف من الأخلاق الإسلامية الحسنة.

فللحصول إلى هذا الغايات، على المرء أن يراعي نية عمله، وبالنية تتحول عادة الإنسان في أعماله إلى عبادة. فنية المرء في قلبه، وتصدر عن القلب النيات والمقاصد من الأعمال، وما تبثّه القلب وتنجزه من الإرادات والأفعال، والنية هي التي تحصّل للحساب، والجزاء يوم الدين،حيث تعلو قيمة العمل بها حتى وإن كان العمل واحدا، فالجهاد بنية نصرة دين الله تعالى في سبيل الله، يستحقّ صاحبه أعظم الأجرين. ولذلك، يتقبّل الله من الإنسان عمله مادام يبتغي به وجهه، حتى ولو لم يتحقّق، ما كان بقصده بفعله، قال النبي ε، فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ قال: ((**إن الله كتب الحسنات، والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة، فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإنهمّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة**)) (**الجامع المسند الصحيح**. عن ابن عباس.باب: باب من همّ بحسنة أو بسيئة. حديث رقم: 6491. ج8. ص103).

المطلب الرابع: وسائل تحقيق القيم الأخلاقية

للقيم الأخلاقية لها وسائل لتحقيقها وتعزيزها، حتى يتمكن الإنسان من حشد التعاون بينهم في فعل الخيرات؛ لأن من هذه الوسائل تفتح الفرص للإنسان في تربية ذاته وتزكية نفسه لكي يكون ذلك المسلم الفعال الذي اعتزم تحقيق القيم الأخلاقية والمبادئ الإسلامية في نفسه وبيئته. وبهذه الوسائل تكوّن للإنسان سلوكه وتصرفاته وأفكاره وفق الشريعة الإسلامية التي وضعها الله سبحانه وتعالى لمصلحة الكون كلها.

الأولى : العقائد

أصول الدين من أشرف العلوم، منها العلوم المتعلقة بالعبادات، المعاملات، والأخلاق؛ وشرف الشيء من شرف موضوعه. ومن موضوعاتها علم التوحيد، ومعرفة الله وصفاته، وما ينبغي لوجهه من التعظيم والثناء، وما ينبغي لحقّه سبحَانه وتعالى من العبادة، وهو حقّه على العباد.وقال الشيخ في مقدمة تفسيره: (فالعلم نور، والجهل ضلالة، وخير العلوم علم الدين، والتفسير، فهو يبين ما اشتملت عليه الأحكام الإلهية من الأسرار والبدائع) (**مراح لبيد**. ج1. ص3). والتفسير هو معرفة كلام الله تعالى، وما يتعلق به من العلوم القرآنية؛ لأنّ القرآن يعلّم كيفية اكتساب العلوم العالية، والأخلاق الفاضلة التي يصل بها الإنسان إلى قرب رب العالمين (**مراح لبيد**. ج1. ص3).

وقال الشيخ نووي الجاوي بأنّ جملة الدين ثلاثة: (العقائد العقلية، والأعمال الفرعية، والعقائد السمعية)؛ وهذه تبنى على ثلاثة أسس منها علم المبدأ، وعلم الوسط، وعلم الميعاد، فكل هذه العقائد لها دور عظيم في دعائم التحقق للقيم الأخلاقية.

ويقصد بالعقائد العقلية هو أنّ الأصل في العقيدة الإسلامية هو النظر العقليلتحصيل الإيمان، فأوّل أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي. وكذلك في الشريعة الإسلامية، إلا أنها مبنية على النقل الأساس. وقال الغزالي: (إنّ العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة، إنما تدرك بكمال العقل، وصفاء الذكاء، والعقل أشرف صفات الإنسان) (**إحياء علوم الدين**. ج1. ص13). ويقصد بالعقل هنا هو الفهم الصحيح.

إن للعقل الرزين وظيفته الخطيرة في ترسيخ العقيدة بعد النقل الصحيح؛ لأنّ لا يصل الإنسان إلى ما يخفى عليها من معاني الأدلة القرآنية إلا بطريق العقل، ففي الآيات المتشابهات مثلا، فوجود العقل لبيان ما يجب لحقّ الله تعالى، وما يستحيل، وما يجوز عليه، وكذلك لبيان ما يجب لحقّ الرسل عليهم السلام، وما يستحيل في حقّهم، وما يجوز. كما قال: إنّ العقل أساس النقل؛ لأنّ النقل الصحيح لا يُخالف العقل الصريح. ويكون الفهم بمجرد العقل خاليا عن العادة، والرياسة، والملذات الدنيوية.

والعقائد العقلية مسلك العبد؛ لأن يوصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، ويقال بها علم المبدأ. ومتممها هي علم الوسط، أي: الأعمال الفرعية، وتكون الأعمال الجسمانية والروحانية. وكل عمل يعمل به العبد، صالحه وسيئه، يجزء بهما يوم القيامة ومراحله، وسمي هذا بعلم المعاد.

الأخلاق الإسلامية مبنية على الفطرة السليمة ولكنها قد تكون ملوثة بتأثير خارجي من بيئات الناس المختلفة في رغباتهم، وشهواتهم، وأهوائهم، ومصالحهم التي تؤثر فيها سجايا الناس وطبائعهم. لذلك، يحتاج إلى الدلائل العقلية لردّ الإنسان إلى فطرته السليمة، وترسيخ ما يتعلق بها، إذ أن الإنسان بحاجة إلى التذكير بهذه المعرفة الفطرية، وإزاحة الغبار عنها، مع التأكيد على أنه ليس بصدد إحداثها، إذ أنّها أمور حاصلة في النفس ألزمها الله على الإنسان. لكن لا يكفيه فقط هذه الدلائل الفطرية على وجود الخالق ومعرفته، فمن أجل هذا أرسل الله الرُسل وأيَّدهم بالأدلة على صدق دعواهم، وقال تعالى : ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [سورة النساء: 165]أي: مبشرين لأهل الطاعة بالجنة، ومنذرين للعصاة بالنار، والمعنى لئلا يحتج الناس يوم القيامة على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل. (**مراح لبيد**. المرجع السابق. سورة النساء. ج1. ص242)

الإيمان لا يحصل إلا بمعرفة الله تعالى، وهي التفكر في خلق الله تعالى، ومنه دلائل الآفاق ودلائل الأنفس، وهذه العبارة توضح قوة تمسك الشيخ نووي الجاوي بعقيدة الأشاعرة حيث قال الإمام الأشعري على أن معرفة الله تعالى واجبة بالشرع. وذلك قال الإمام أبو منصور الماتريدي حيث قال: إن أول واجب على المكلف النظر والاستدلال المؤدي إلى المعرفة بالله، وأن معرفة الله تعالى واجبة بالعقل، ولو لم يكن الشرع[2]. (**أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة**. ص598)

فالبحث في اكتشاف على الدلائل العقلية واجب؛ لأنه يرشد إلى العلم في معرفة الله تعالى وتوحيده، ويزداد به المرء يقينا وإيمانا بالله تعالى، ويحصن به دنياه وآخره. فإنّ علوم الدين من أجلّ العلوم قدرا، وأعلاها شأنا، إذ بعلم الصحيح يعرف ما شرع الله لعباده، وما أمرهم به لأتباعه، وما نهاهم عنه فوجب عليهم اجتنابه، وذلك تنظيما لحياتهم، وتوضيحا للطريق الذي يوصلهم إلى رضوانه وهداه، استنباطا مما ورد في القرآن الكريم تصريحا وإجمالا، وما جاءت به السنة المطهرة إكمالا وتفصيلا وبيانا. ومن ثم كان التفقه في الدين من أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربّه.

الثانية :العبادات

وقد تشير قصة موسى عليه السلام إلى مهمّة الأحكام العملية حين كلّمه ربُّه في الوادي المبارك سمي طوى، بأن أوّل الأمر الذي يوجهه تعالى على الإنسان هو الإثبات بوجود الله تعالى، ثم أومر بالصلاة لتذكّر ربّه فيها ولا يقصد بها غرضا آخر، وقال تعالى: ﴿ ﴾ [سورة طه:14]. (**مراح لبيد**. المرجع السابق. سورة طه. ج2. ص22)

وكما جاءت في العقائد العقلية بأنها الأمور الاعتقادية واليقينية، وكونها لا تكمل إلا بوجود الأعمال التي يصدّق القلب اعتقاده ويقينه. والعبادة هي من الأحكام العملية، وهي تنقسم إلى قسمين كما ذكرها الشيخ نووي الجاوي في تفسيره: الأول: الأعمال الجسمانية، ويشير إليها قوله تعالى : ﴿ ﴾ [سورة طه:14]، فأفضل الأعمال الجسمانية هو الصلاة، وهي صلة قوية بين الخلق والخالق. والثاني: الأعمال الروحانية. ويشير ذلك قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة طه:14]. فالعبودية أولها الأعمال الجسمانية، وآخرها الأعمال الروحانية (**مراح لبيد**. سورة طه. ج2. ص23).

---

[2] . وفي هذه الحالة، قريب من رأي المعتزلة الذين قالوا أن معرفة الله تعالى واجبة بالعقل، واعطوا سلطة مقدسة للعقل، وبينما الماتريدية يرون أن وجوبها ممكن إدراكه بالعقل، لأنهم يصرحون بأن الوجوب لا يكون إلا ممن يملك الإيجاب وهو الله تعالى.

الإيمان هو كلّ ما يتضمن الأعمال القلبية الباطنة، وأمّا الإسلام هو: كلّ ما يتضمن به الأعمال الظاهرة، وهذا إذا ذكر كل منهما على صورة مستقلة، أي: عند الاجتماع بينهما، وأما عند الافتراق، فلا يستغني أحدهما عن الآخر. فالإسلام هو الإيمان؛ لأنه ترجمة واقعية عن المكنونات الإيمانية. والإيمان جوهر الإسلام؛ لأنه محرك داخلي للظواهر الإسلامية. ومن هنا قالوا: الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

وكون العبادات أنها من وسائل تحقيق القيم الأخلاقية، وهي الأحكام الأعملية الذي يكتسبها الإنسان لتعزيز قيمه الخلقية، وهي أركان الإسلام الخمسة، ولم ينبني لغيره من الأديان، وهي ما يتركب عليها دين الإسلام، وتلزم العبد أدائها. ومن خلال الأحكام العملية أنها تحقق توحيد الله تعالى، وقال الشيخ نووي في تفسيره: (إذا قام العبد في صلاته فبقوله: (الله) ينفي التعطيل، وبقوله: (أكبر) ينفي التشريك؛ لأنّ الشرك لا يكون أكبر من الشريك الآخر فيما فيه الاشتراك) (**مراح لبيد**. سورة العنكبوت. ج2. ص218). ولما كانت العقيدة الصحيحة هي مبدأ أساسي في هذه الدراسة، فتكون الصلاة من المنطلق الأول في تكوين الشخصية المسلمة المتكاملة، عقيدة، وعبادة، وأخلاقا وغيرها من الأمور التي يرضيها الله تعالى.

الثالثة : الأحكام العملية

كما تكلمنا سابقا أن القيم الأخلاقية العملية لها وظيفة في الترسيخ الخلقي، وفي هذا الفصل سيبين الباحث بعض الآثر التي هي من دعائم التحقق بالقيم الخلقية وهي الأحكام العملية، أي الأحكام المتعلقة بأقوال وأفعال الإنسان في علاقاته مع غيره.

العمل له علاقة بالإيمان، وأصل الإيمان تصديق، وإقرار، ومعرفة، وهو من باب قول القلب المتضمّن عمل القلب، وقال: (ومعنى أشهد أن لا إله إلا الله أعلم بالبرهان يقينيا، وأعتقد بقلبي اعتقادا جازما لا تردّد فيه). (**شرح سّلم المناجاة على سفينة الصلاة**. ص4.). والأصل في عمل القلب التّصديق، والعمل تابع له، ولهذا فسّر النّبيّ ε الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه، وقال ε: ((**الإيمان بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر**)). (**المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم**. عن أبي هريرة. باب: الإيمان، رقم الحديث: 85. ج1. ص103).)). وفسّر ε الإسلام باستسلام مخصوص هو الأركان الخمس، وقد قال ε أيضا: ((**الإسلام علانية، والإيمان في القلب**)). (**مسند الإمام أحمد بن حنبل**. عن أنس بن مالك. رقم الحدي:12381. ج19. ص374).

هذان الحديثان يشيران إلى أنّ أعمال الجوارح في الإسلام من الأمور المشاهدة عيانا بين الناس، وأما أعمال القلوب من تصديق، ومعرفة، وحبّ، وخشية، ورجاء، فهي من أعمال الباطن، لكن لها لوازم تدلّ عليه، والشاهد على ذلك ما جاءه في الحديث من قول النبي ε: ((**المسلم من سلم المسلمون من لسانه، ويده، والمؤمن من**

أمنه النّاس على دمائهم، وأموالهم)). (**الجامع الصحيح سنن الترمذي**. عن أبي هريرة، رقم الحديث: 2627، باب: ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ج5، ص17). ففسّر ε المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة النّاس منه، وفسّر المؤمن بأمر باطن، هو أن يأمنوه على دمائهم، وأموالهم، وهذه الصّفة أعلى من تلك، فإنّ من كان مأمونا سلم النّاس منه، وليس كلّ من سلموا منه يكون مأمونا، فقد يترك أذاهم، وهم لا يأمنون إليه، خوفا أن يكون ترك أذاهم لرغبة أو رهبة، لا لإيمان في قلبه.

من خلال الأحكام العملية لها آثار كبير في تحقيق القيم الخلقية، ومن خلاله كذلك يريد المؤمن أن ينتفع من أعماله لنفسه وللآخرين أجمع، وفي الاعتبار عن المنفعة، فإن المؤمنين يختلفون مع الماديين في قياسها، حيث لا يقيس المومنون المنفعة بالكم والمادة فحسب، ولا يعتبرون المنفعة الفريدة وحدها، بل يدخلون في اعتبارهم الكم والكيف والمادة والروح، والفرد والمجتمع جميعا، بل هم لا يقصرون المنفعة على الحياة العاجلة، بل يضعون في حسابهم دائما الحياة الآخرة، حياة الخلود التي أعدت للإنسان، وأعد لها الإنسان.

المطلب الخامس :الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

في ختام هذه الدراسة ينطوي أمام أعيننا النصوص البينة دليلا على أن القيم الأخلاقية تنظم سلوكيات الإنسان، فمن ناتجتها هي الآداب، بدورها تعين المرء على أن يتحلى بالأخلاق الكريمة. والقيم في اعتبارها موجهات السلوك أو العمل، وجاء الإسلام بأكمل تصور، وأشمل شريعة مقترنين، وأقام منها نظاما واقعيا للحياة يتمثل فيه التصور والشريعة في صورة عملية.

وقال أنّ مجموعة القيم التي يعتنقها شخص من الأشخاص هي التي تحركه نحو العمل، وتدفعه إلى السلوك العام، والأخلاق بطريقة خاصّة، بل وتتخذ القيم مرجعا للحكم على السلوك، سواء أكان مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه. إذن، تتناول القيم جميع مظاهر الحياة، وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور والسلوك، والضمائر والوجدانات، وهي تكون المعنوية والروحية جميعا. (**العدالة الاجتماعية في الإسلام**. المرجع السابق. ص26).

بعد استعراض القيم الأخلاقية عند الشيخ نووي الجاوي، وتحديد معناها، وصلتها بالشعب الإندونيسي، توصل الباحث إلى جملة من النتائج، يمكن عرضها كما يلي:

1. القيم الأخلاقية من القضايا التي لها أولوية في جميع مؤلفات الشيخ نووي الجاوي، فالمسلم لن يصل إلى مرحلة الإيمان الحقيقي إذا لم ينهل من منابع القيم الخلقية، إذ هي المبادئ والقواعد التي تبني عليه أفعال الإنسان.
2. إن الخلاف بين علماء الإسلام ومفكري الأديان الحديثة –التي وضعها البشر– في إثبات معنى مصطلح القيم الأخلاقية، وعلاقته بأصول العقيدة والشريعة هو خلاف غير سائغ. حيث إن الشريعة الإسلامية هي الأصل

في القيم الخلقية، وأنها تحتوي على حب العقيدة والإيمان والسلوك والأخلاق، وأول ما تهدف إليه تربية النفوس تربية قويمة, وتنشئتها على مبادئ الحق والخير وتكوين المجتمع القوي الذي يتمسك بهذه المبادئ والأسس، خلافا لنظرية مفكري للأديان الحديثة التي تدعو إلى الملذّات الحسّيّة، والإرادة العقلية التي هي أساس الفكرة الخلقية عندهم.

3. جهود الشيخ نووي الجاوي في رده على أفكار الفلاسفة والملحدين والمتحررين في القضية الأخلاقية، وكان دعمه المادي والمعنوي لإنقاذ بلده إندونيسيا الغالية من ضغوط الأفراد المنحرفين أمرا واقعيا بلا مدافع؛ وبعده عن وطنه يكن حاجزا لوصول هذا الدعم، والدفاع عن أرضه، فقد كان سعيه حثيثا لإبلاغ كل ما يراه نافعا لدينه وأمته. والشعب الإندونيسي لا يزال ينتقع بنتاجه العلمي، حيث وسع الشعب الإندونيسي دائرة بحثهم في المقررات الدراسية أو المناهج التعليمية، ويظهر أثر ذلك في التواصل العلمي الذي ينعقد في المجالس الخاصة أو العامة، سواء كانت في المساجد، أو المصليات، أو بيوت الأهالي التي تدرس فيها مؤلفات الشيخ.

وأهم التوصيات هي :

1. إن تنشئة الأولاد على مقتضيات كلام الله تعالى وسنة رسول الله ε منذ نعومة أظفارهم من الضروريات في تفعيل القيم الأخلاقية، فعلى المربي أن يحافظ على الجواهر الخلقية في سبيل ترسيخ الإيمان بهذين المصدرين، والأنس بهما، وتربية النفس، والتسليم لأحكامهما، والدعوة إليهما، وإقامة شريعتهما في الأرض.
2. على طلاب العلم في المعاهد الشرعية أن يكثفوا اهتماماتهم بنشر مؤلفات الشيخ نووي الجاوي، ومضاعفة الجهود في دراستها، سواء أكانت في المجال العقدي أو الفقهي، أو الأخلاقي؛ لأنها كتبت من أجل مسايرة العقلية الإندونيسية، مع الاستعانة بالعلوم التي خصصها المؤلف لأبناء وطنه، فهو أدرى بالأسلوب الذي يناسبهم.
3. إن مؤلفات الشيخ نووي الجاوي قد أثبتت جدارتها، وفعاليتها في توجيه الأمة الإسلامية في جنوب شرق آسيا، وخاصة في جاوة مما يطالب به الجيل المعاصر أن يقتني بها، ويجعلها من المقررات الرسمية، والمناهج المعمول بها في المدارس الشرعية؛ ولذلك كان إحياؤها ضمن برامج الدروس الإضافية واجبا؛ لأن الاقتصار على دراسة التراث الإسلامي في الفصول لا تلبي حاجات الطلبة لاستيعاب المسائل العلمية، فهي على هذه الصورة من مكملات الأولويات الساعية إلى تحقيق الأهداف المنشودة.

4. من أجل تحقيق هذه الأهداف، كان واجب على طلاب العلم الوقوف على دراسة ملامح شخصية الشيخ من مختلف الزوايا العلمية التي كان يمتاز بها؛ فهي بمثابة بوابة للمدينة الكبيرة في العلم والمعرفة والثقافة، مع التركيز على الأساسيات الفكرية من عقيدة وشريعة وأخلاق وتصوف إلى جانب ضرورة أصول تفسيره، وغيرها من العلوم.
5. الاهتمام بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في تفسير الشيخ نووي الجاوي، وتحقيق ذلك من خلال الكتب الحديثية المختصة، وكما أوصيت بإجراء مزيد من الدراسات حول الشيخ محمد نووي الجاوي، لأن له كتبا يمكن استفادة منها وشروحها في شتى العلوم والمعارف.

المبحث السادس : المراجع

محمد النجار، إبراهيم مصطفىأحمد الزياتحامد عبد القادر. (د.ت.). **معجم الوسيط**.مجمع اللغة العربية (**محقق**). دار الدعوة. د.م.

عبد السلام، سامية عبد الرحمن. (1992م). **القيم الأخلاقية دراسة نقدية في الفكر الإسلامي والفكر المعاصر**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. ط1.

نووي، محمد بن عمر الجاوي. (1417ه). **مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد**. محمد أمين الضناوى (**محقق**). بيروت: دار الكتب العلمية.

آل غازى، عبدالقادر ملاحويش الفراتي الديرزوري. (1382ه). **بيان المعاني**. دمشق: مطبعة الترقى.د.ط.

القرطبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. (1423ه/2003م). **الجامع لأحكام القرآن**. هشام سمير البخاري (**محقق**). الرياض–المملكة العربية السعودية: دار عالم الكتب.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (1424ه). **القاموس المحيط**. محمد عبد لرحمن المرعشلي (**محقق**). بيروت: دار التراث العربي.د.ط.

حَبَنَّكَة، عبد الرحمن حسن الميداني الدمشقي. (1320ه/1999م). **الأخلاق الإسلامية وأسسها**. دمشق: دار القلم. ط5.

الشرقاوي، محمد عبد الله. (1410ه/1990م). **الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة**. بيروت: دار الجيل. ط1.

المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. محمد زهير بن ناصر الناصر (**محقق**). دار طوق النجاة. ط1.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (د.ت.). **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**. محمد فؤاد عبد الباقي (**محقق**). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

نووي، محمد بن عمر الجاوي. (2001م). **تيجان الدراري شرح على رسالة الباجوري**. مكتبة الحرمين جايا إندونيسيا. ط1.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر. (1424هـ/2003م). **السنن الكبرى**. محمد عبد القادر عطا (**محقق**). بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية. ط3.

البهنساوي، سالم. (1409هـ/1989م). **السنة المفترى عليها**. القاهرة: دار الوفاء. ط3.

نووي، محمد بن عمر الجاوي. (1427هـ/2006م). **سَلَالِمُ الفُضَلاء شرح على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء**. المليباري، زين الدين بن علي. جاكرتا: مكتبة فوستاكا ممفير.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (د.ت.). **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار المعؤفة. د.ط.

نووي، محمد بن عمر الجاوي. (د.ت.). **شرح قامع الطغيان على منظومة شعب الإيمان**. الكوشني المليبار، الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد الشافعي. سورابايا–إندونيسيا: دار العلم.

نووي، محمد بن عمر الجاوي. (د.ت.). **نصائح العباد في بيانِ أَلفاظٍ مُنَبِّهاتٍ على الاستعداد ليوم الميعاد**. بوستاكا أماني.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (ت463هـ). **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**. المحقق: مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى. مؤسسة القرطبة.

أبو العباس بن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسنيا لإدريسي الشاذلي الفاسي. (1423هـ/2002م). **البحر المديد**. بيروت: دارالكتبالعلمية. ط2.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. (1410هـ). **شعب الإيمان**. محمد السعيد بسيوني زغلول (**محقق**). بيروت: دار الكتب العلمية. ط1.

العجمي، أحمد بن علي. (1420هـ/2009م). **منة الحليم المنان في اقتران ألفاظ القرآن**. محمد أنور خليل (**محقق**). طَنْطا: دار الصحاب للتراث. ط1.

الخميس، محمد بن عبد الرحمن. (د.ت.). **أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة**. المملكة العربية السعودية: دار الصميعي.

نووي، محمد بن عمر الجاوي. (د.ت.). **شرح سّلم المناجاة على سفينة الصلاة**. الحضرمي بن عمر، السيد عبد الله. إندونيسيا–سنقافورة–جدة: الحرمين. ط1.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني. (1417هـ/1996م). **المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم**. محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي (**محقق**). بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية. ط1.

أحمد بن حنبل. (1420هـ/1999م). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. شعيب الأرنؤوط وآخرون (**محقق**). مؤسسة الرسالة. ط2.

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي. (د.ت.). **الجامع الصحيح سنن الترمذي**. أحمد محمد شاكر وآخرون (**محقق**). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

قطب، سيد. (1415هـ/1995م). **العدالة الاجتماعية في الإسلام**. دار الشروق. د.م.